

اجتهادات هكذا يُضعفون أنفسهم

تتوافر كل يومٍ دلائلٌ إضافية على أن خرافة معاداة السامية، التي صارت مرادفةً لرفض الصهيونية أو حتى الاعتراض على إبادة غزة، وصلت في الولايات المتحدة ودولٍ غربية أخرى إلى مدى لا يمكنُ إلا أن يُضعف قدراتها وإمكاناتها. الجامعاتُ المُستهدفة الآن بسبب احتجاجات طلابٍ أحرارٍ فيها هي الأساس الذي شُيّدت عليه نهضة هذه الدول ومكانتها. لا يُختلف اليوم على أن جودة التعليم هي هذا الأساس الذي لا تنهضُ الأمم بدونه، وتتقهقر في غيابه.

يحدثُ هذا بالتزامن مع تراجع العقل الذي يُعَوّل عليه عادةً لتحديد الاتجاه إلى المستقبل وتحقيق أهدافٍ تُعزّزُ قدرات الدول وليس العكس. فقد تسلّطت خرافة معاداة السامية على هذا العقل إلى الحد الذي بات عاجزاً عن

أداء دوره، وغارقاً في إنكار الواقع، وموغلاً في التشكيك
فيما هو معلوم من وقائع ومعارف

خذ مثلاً تفسير سياسيين وأكاديميين يدورُ في فلكهم
مثقفون تابعون ما يحدثُ في عدد كبير من الجامعات
الغربية، ومن بينها تلك التي تُعد جامعات النخبة. فهم
يُلقون بالمسئولية على المقاربات المعرفية التي
يعتبرونها رائجَةً في هذه الجامعات، والمناهج التي
تُدْرَس فيها، إذ يزعمون أنها تعبرُ عن اتجاهات
واهتمامات أساتذة يقولون عنهم إنهم يساريون
متطرفون. وهم يُرددون مزاعمهم هذه وغيرها بلا دليل.
ولهذا فما أن يُطلب من أحدهم ضرب أمثلة محددة حتى
يتبين إلى أي مدى وصل التدهورُ العقلي، إذ نكتشفُ أن
من أهم المعارف «المُتهمة» أدبيات مناهضة الاستعمار
ومكافحة العنصرية بدعوى أن شيوعها في الجامعات
المُنتفض طلابها يُظهر إسرائيل في صورة القوة
الاستعمارية أو الإمبريالية الغاشمة ويقود إلى اتخاذ
مواقف حادة ضدها.

وواضحُ هنا أن إنكار أولئك السياسيين وأتباعهم الواقع يُعجزُهم عن تحديد ما إذا كان الأمرُ يتعلق بصورةٍ مرسومة بفعل خلفية معرفية معينة أم واقع يتابع العالم كله تجلياته الراهنة وقد بلغت أعلى درجة من الهمجية في التاريخ الحديث. وما هذا العجز إلا واحدة من آفاتٍ تتكاثر الآن في الغرب، وربما تجعل تقهقره أقرب مما يتصور أكثر المتفائلين بخلاص العالم من إجرام معظم نُخبه السياسية.